

## تأثير استخدام إستراتيجيات التواصل الداعم على العلاقة الديداية بين المربي الرئيسي لرضيع مع تخلف في التطور وتخلف في التواصل، كما يتجسد الأمر في نموذج (موديل) التواصل الديداي

د. أوريت حتسروني

جامعة حيفا

2012

(الرقم في الكاتالوج: 58)

يتمحور البحث الحالي في العلاقة الديداية (الديداة) وهي كلمة ذات أصول يونانية تعني في علم الاجتماع المجموعة المكوّنة منفردين، وهي تشكل أصغر الوحدات الاجتماعية. يمكن للشخصين في "الديداة" أن يرتبطا بعلاقة رومانسية أو عائلية- المترجم) بين الرضيع الذي يعاني من تأخر في النمو وخلل في التواصل، مع والديه أو مع مرب رئيسي آخر، ويفحص تأثير برنامج إرشاد الأهل في موضوع التواصل الداعم والبديل على هذه العلاقة. تحمل العلاقة الأولية للرضيع مع مربيه الرئيسيين أهمية كبيرة في وضع أسس تطوّر الاتصال واللغة (Schertz & Odom, 2004; Trivette, 2003)، وذلك لأنّ الاتصال يتطوّر من خلال علاقات متبادلة مع البيئة المحيطة (Gowlett, 1994). في حالات التطور الطبيعي يتعلم الرضيع من خلال التفاعل مع المحيط القواعد الأساسية للاتصال واللغة، أما في صفوف الرضع الذين يعانون من إعاقات مختلفة فهذه العملية معقدة للغاية. إذا ما كان هناك خلل في أحد المجالات المطلوبة لتحقيق هذه العملية يصبح اكتساب الاتصال واللغة مهمّة معقدة وحتى مستحيلة. (Bernstein & Tiegerman, 1993; Owens, Metz, & Farinella, 2010).

أول شركاء المولود الغض في التواصل هم مربّوه الأوائل، لذا يمكن القول أنّ العلاقة بين الأهل والأطفال هي علاقة متعدّدة الأبعاد، وتحمل أهمية بالغة بالنسبة لنمو الرضيع، إذ إنّها تغرس أسس النموّ الوجداني والاجتماعي والذهني للطفل الرضيع (Bates, 1999; Frankel & Bates, 1990; Laible & Song, 2006). قام باحثون كثر بفحص أهميّة هذه العلاقة الأولية وعزّفوها كعلاقة ديدائية (dyad)، (على سبيل المثال: Ainsworth, 1979; Emde & Harmon, 1982; Frankel & Bates, 1990; Kelley et al., 1983). تشكّل العلاقة الديداية إحدى سبل فحص جوهر العلاقة الأولية بين

الوالدة والرضيع (Emde, Wolf & Oppenheim, 2003)، ويقوم البحث الדיادي بفحص خواص التفاعلات  
الاتصالية بين شريكين اثنين بمناح عدة.

تنطلق الأبحاث التي درست موضوع الדיادة من الفرضية القائلة أنّ العلاقات الديادية بين الأم وابنها تحمل أهمية كبيرة  
بكل ما يتعلق بأبعاد تطوّر العلاقات، وممارسة التفاعلات، وأنواع الارتباط بينهما (على سبيل المثال: Biringen, Emde, 2003; Campos & Appelbaum, 1995; Schertz & Odom, 2004; Trivette, 2003). يتمحور البحث الحالي في فهم  
خصوصية العملية التواصلية في الדיادة بين الوالدة والرضيع الذي يعاني من تخلف في النمو ومن إعاقة اتصالية. جرت  
مراجعة الموضوع من خلال استخدام أنموذج (موديل) لتمثيل زيادة الاتصال، إذ تُوفّر الموديلات إطاراً ونقطة انطلاق  
يمكن من خلالها مراجعة مشاكل معينة، وتوفر قاعدة لبناء ومراجعة خطط تدخل (Sanders, 1976). ثمة عدد من  
الموديلات التي تُمثّل عمليات اتصال دياوية، لكنها محدودة من حيث القدرة على تمثيل الاتصال الديادي بين الوالدة  
والرضيع الذي يعاني من إعاقة اتصالية. (Berlo, 1960; Lloyd, Quist & Windsor, 1990; Sanders, 1976)، لذا  
قمنا ببناء أنموذج ترابط دياوي يوصل ما بين الموديلات القائمة التي تصف زيادة واتصال، ويملك القدرة على توصيف  
العلاقة المتميزة بين الوالدة والرضيع الذي يعاني من إعاقة في الاتصال (Berlo, 1960; Lloyd, et al., 1990; Sanders, 1976). يتمحور البحث الحالي في فهم العلاقة الديادية بين الرضيع الذي يعاني من تخلف في التطور ومن إعاقة  
تواصلية، ووالديه، كما تتجسد هذه في البيئة الطبيعية، ومن خلال استخدام الأنموذج لفهم السيرورة، ولتطوير خطة  
تدخل.

تمثّل هدف البحث في فحص ومراجعة قدرة أنموذج الاتصال الديادي على تمثيل ديادات في صفوف الأهل والرضع الذين  
يعانون (أو لا يعانون) من تخلف في النمو ومن إعاقة اتصالية. بعد التحقق (الإحصائي) من صدق الأنموذج المعروض  
جرى فحص قدرة تطبيقه كجزء من عملية إرشادية تستخدم استراتيجيات وأدوات الاتصال الداعم والبديل (أ.د.ب).  
قمنا في الجزء الأول من البحث بفحص أنموذج الاتصال الديادي من خلال المقارنة بين ست ديادات في صفوف أهال  
ورضع في سن عام حتى عامين مع (أو بدون) تأخر تطوري وإعاقة اتصالية. مدّة التصوير لم تتعدى 20 دقيقة وضمت  
وضعيّات لعب حر بين الام والرضيع. طُلب من الامّ التصرف على نحو طبيعي مع ابنها في البيئة الطبيعية لمنزلها. جرى  
تحليل وترميز (encoding) المعلومات الموثقة بحسب أنموذج الاتصال الديادي من خلال استخدام علم الإحصاء  
التوصيفي، ومن خلال وضع النتائج على نحو مرئي في الأنموذج ذاته.

بغية فحص الفروق بين الدياتيات أُجريت مقارنة بين المعدلات، وفُحصت الفروق بين المجموعات (Mann-Whitney)،  
وعُثر على فرق كبير بين بنية الدياتيات في عدد الرسائل الكلي (التي بادر إليها الوالد والرضيع معا) المنقولة في

الدقيقة ( $p=0.025$ ). في الذاكرة بين الوالد والرضيع الذي ينمو على نحو سليم تُنقل رسائل بنسبة تفوق ضعفين في الدقيقة (23.28) الذاكرة بين الوالد والرضيع الذي يعاني من تخلف في التطور ومن إعاقة اتصالية (9.1). عُثر كذلك على فرق حاسم ( بالمفردات الإحصائية) في عدد الرسائل الاتصالية التي تشكل تغذية راجعة للرضيع من مجموع الرسائل التي يبعث بها الوالد. بحسب نتائج البحث يردّ اهالي الأطفال الرضع الذين يعانون من تأخر في التطور ومن إعاقة اتصالية على نحو أقل على إشارات الاتصال من قبل ابنهم. أما بالنسبة للرسائل التي ينقلها الرضيع، فثمة فرق بين الديدادات بكل ما يتعلق بعدد مبادرات الاتصال ( $p=0.04$ )، وكذلك بعدد الرسائل التي تشكل تغذية راجعة للوالد ( $p=0.01$ ). تُظهر نتائج الجزء الأول من البحث وجود فرق حاسم بين الديدادات، والذي ينعكس على نحو مرئي وواضح حتى عند وضعه في أنموذج الاتصال الديدادي. الديدادات في صفوف الوالدين والأطفال الرضع الذين يتطورون على نحو سليم تتبني أسلوبا منسابا (smooth-flowing style) يتميز بظهور ونقل رسائل اتصالية (Harrist & Waugh, 2002) بوتيرة عالية، إذ جرى تشخيص 70% من الرسائل التي بعث بها الرضيع والردّ عليها من قبل الأم، وقام الرضيع بتشخيص 40% من الرسائل التي بعثت بها الأم، وردّ عليها. تتميز الذاكرة بالاستقرار على امتداد الوقت، وتحقق معدّل 23 نقلًا للرسائل والردود في الدقيقة، والتي تتميز بالتجانس بكل ما يتعلق باتجاه الرسائل بين الأم والرضيع، وبالعكس. في المقابل، تتميز ديدات الاتصال في صفوف الوالدين والأطفال الرضع الذين يعانون من تخلف في التطور وإعاقة في الاتصال بنمط مبتور (disjointed style) وبوتيرة متدنية من ظهور ونقل رسائل الاتصال، وبالكثير من الانقطاع (Harrist & Waugh, 2002). حوالي 35% من الرسائل التي بعث بها الرضيع حصلت على رد من قبل الأم، وتلقت حوالي 20% من الرسائل التي بعثت بها الأم ردا من قبل الرضيع. مدة نقل الرسائل قصيرة للغاية، ومعدّل وتيرة الرسائل المنقولة في الدقيقة هو خمس رسائل. تتميز الذاكرة باتجاه غير متجانس للرسائل بين الأم والرضيع، وبالعكس. عندما تجري المقارنة بين الديدادات يتبين أنّ الاختلاف فيما بينها يتمحور في الأساس في وتيرة نقل الرسائل الاتصالية بين الشركاء في الذاكرة، وفي قدرة التعرّف على رسائل الشريك في الاتصال. عند فحص عدد الرسائل التي يبعث بها الوالد كردّ على رسائل الطفل الرضيع يتبين وجود فرق جوهري، حيث أنّ الرد على الرضيع برسائل اتصالية من قبل أهل أطفال رضع يعانون من تأخير في التطور وإعاقات اتصال كان أقل على نحو ملحوظ ( حوالي 10%) من رد أهل الأطفال الذين لا يعانون من إعاقة في الاتصال ( حوالي 60%). يحتمل أنّ هذا المعطى ينبع من المفاهيم التي يتبناها الوالدان بكلّ ما يتعلق بدرجة فهم ابنهم، ومستوى النية الاتصالية التي تقف من وراء رسائله الاتصالية. ( Stephenson, Parrila, Georgiou & Kirby, 2009).

في الكثير من الحالات لم يفسر الوالدان سلوك ابنهم على أنه نوع من الممارسة الاتصالية، أو ذاك الذي يُقصد من ورائه أمرٌ ما. بعد تلقّيهم الإرشاد المناسب، أصبح الأهل الذين يجدون صعوبة في تشخيص احتياجات الأطفال الرضع الذين يعانون من إعاقة في الاتصال، أصبحوا يتحدثون عن تغيير جوهري في الإحساس بأنهم يفهمون ابنهم (Matthews-Somerville & Cress, 2005). يقوّي استخدام نموذج الاتصال الديادي (الذي يمكن من توفير عرض مرئي للتفاعلات بين الوالد وابنه) يقوّي فهم الوالدين لقوالب الاتصال التي يقومون باستخدامها، ويساعد على تحسينها. من خلال تنفيذ تدخّل في مجال الاتصال في صفوف ديدات والدين وأطفال رضع يعانون من تأخّر في التطور ومن إعاقات اتصال، يُمكن فحص أبعاد التغيير الذي يتحقّق على ضوء التدخل الذي يتمّ خلال استخدام نموذج الاتصال الديادي تُظهر نتائج القسم الأوّل من البحث أنّ مركّب الرّد على الأطفال الرضع الذين يعانون من تأخّر في التطور ومن إعاقة في الاتصال كان أقل على نحو ملحوظ مقارنة بما يحصل في الدّيادة بين الوالد والرضيع الذي ينمو نمواً عادي. دفعت هذه المعلومات إلى إدراك إمكانيّة تقديم أرشاد للوالدين بالاعتماد على نموذج الاتصال بهدف المساعدة في تطوير اتصال الرضيع من خلال الاستعانة بأدوات واستراتيجيات الاتصال الداعم والبديل (أ.د.ب). الهدف من الإرشاد هو مساعدة الأهل على تفسير النّيّة الاتصالية لدى ابنهم، وكذلك تغيير المفاهيم التي يتمسّك بها الأهل حول مستوى فهم ابنهم، الأمر الذي يُفضي إلى تحسين الاتّصال في الدّيادة (Stephenson, et al., 2009).

في القسم الثاني من البحث جرى فحص السؤال التالي: هل يمكن تحسين الاتّصال في الدّيادة بين الوالدين والأطفال الرضع الذين يعانون من تأخّر في التطور وإعاقة في الاتصال، من خلال استخدام الإرشاد الذي يركّز على نموذج الاتصال الديادي واستراتيجيات الاتصال الداعم والبديل (أ.د.ب)؟ تمّ هذا الفحص من خلال المقارنة بين مجموعتي ديدات لأهالي أطفال رضع (أبناء عام حتّى عامين) يعانون من تأخّر في التطور ومن إعاقة في الاتصال (N=30). خضعت مجموعة التدخّل لإرشاد يركّز على نموذج موضوعته استراتيجيات دعم وتطوير الاتصال مع الطفل قُبيل ملاءمة الاتصال الداعم والبديل. أجريت خلال البحث مشاهدتا فيديو على المجموعتين. مدّة التصوير لم تتعدى 20 دقيقة وشملت وضعيات لعب حر بين الأم والرضيع، وطُلب من الأم أن تتصرّف على نحو طبيعي مع ابنها في البيئة الطبيعية لمنزلها. وثقت مشاهدات الفيديو الديدات قبل وبعد التدخل، وجرى استخدام مقاطع الفيديو التي صوّرت قبل التدخل خلال الإرشاد كأداة توضيحية للأهل حول ما يحصل في الدّيادة. خلال التدخل حصلت كل عائلة في مجموعة التجربة على إرشاد يعتمد على نموذج الاتصال الديادي، وفي نهايته صودق على تنفيذ استخدام اولي لأداة الاتصال الداعم والبديل. جرت ملاءمة هذه الأداة لاحتياجات الطفل وبنية العائلة، وبعدها تم فحص تأثير الإرشاد واستخدام الاستراتيجيات والأدوات على العلاقة الدّيدانية بين الوالدة أو المرئي الأوّل والرضيع بحسب نموذج الاتصال الديادي.

שכלّت المجموعة الثانية مجموعة مراقبة، وحصلت على إرشاد في مجال تدليك الأطفال الرضع. عملية تجميع البيانات كانت مماثلة في المجموعتين.

أظهرت نتائج القسم الثاني أنّ مجموعة التجربة التي خضعت لإرشاد يركز على نموذج الاتصال الوديّ شهدت ارتفاعاً في عدد الرسائل الكلي في الدّيادة بعد التدخل - من 13.51 رسالة في الدقيقة قبل التدخل إلى 23.01 رسالة في الدقيقة بعد التدخل، أي بحوالي الضعف. هذا المعطى حاسم من الناحية الإحصائية ( $sig-0.000^{***}$ ). حصل كذلك تغيير إيجابي حاسم ( $sig-0.000^{***}$ ) في عدد الرسائل التي بادر إليها الوالد (من 8.79 إلى 13.5 رسالة في الدقيقة)، وفي عدد الرسائل التي بادر إليها الرضيع (من 4.7 إلى 8.9 رسالة في الدقيقة)، وتضاعف عدد الرسائل التي بادر إليها الوالد والرضيع كرد على رسالة الآخر. إلى ذلك فقد حصل تغيير في عدد الرسائل الكليّ التي تُنقل في الدّيادة، وحصل تراجع في نسبة رسائل الوالد من المجموع الكلي للدّيادة مقابل ارتفاع في نسبة رسائل الرضيع، ما يعني حصول تراجع في تحكّم الوالد بالدّيادة. حصل تغيير إيجابي كذلك في نسبة الردود من المجموع الكلي لرسائل طريقيّ الدّيادة.

على ضوء نتائج البحث يمكن القول أنّ برنامج التدخل الذي يشمل إرشاد الأهل بالاعتماد على نموذج الاتصال الوديّ يعزّز على نحو ملحوظ قدرة فهم الوالد لمبادرات الرضيع الاتصاليّة، ومن خلال ذلك يُعطي حيزاً لقدرات الأخير الاتصاليّة، ويساهم في بناء العلاقة الوديّة بين الرضيع ووالديه أو مرب أولي آخر. يتميّز الاتصال السليم بالتوازن بين المتصلين من حيث عدد الرسائل المنقولة، أي مبادرات التواصل، والنسبة التي تشكّلها التغذية الراجعة من مجموع الرسائل التي ينقلها طرف الاتصال لشريكه. (Harrist & Waugh, 2002; Kelley, et al., 1983; Yuasa, et al., 2010). أحد استنتاجات البحث هو مساهمة برنامج التدخل (الذي طبّق في هذا البحث) في تقريب الدّيادة للتوازن في نقل الرسائل الاتصاليّة بين شريكيّ الدّيادة.

من المتوقع أن يقدم البحث مساهمة في عدد من المستويات:

الأهمية النظرية في تطوير نموذج دياي عيني للوالد، او لمرب أولي آخر لرضيع يعاني من تأخر في التطور و/أو تأخر في التطور وإعاقة في الاتصال، وفي فهم مغزى إكساب استراتيجيات لتطوير الاتصال لدى هؤلاء الأطفال الرضع؛ إلى ذلك يوفّر استخدام الأنموذج أدوات لفهم العلاقة بين مميّزات إعاقة الرضيع وأسلوب الدّيادة مع الوالد/ة. في تمثيل الدّيدات في الأنموذج يُمكن تعداد الروابط بين المبادرات الاتصاليّة من قبل الوالد وتلك التي يبادر إليها الرضيع، وكذلك الربط بين عدد الرسائل التي جرى نقلها وعدد الردود التي جرى تلقيها بالنسبة لكل واحد من المشاركون في الدّيادة.

الأهمية العملية: يُمكن استخدام هذا الانموذج لأغراض البحث والإرشاد من خلال فحص التغيير في الدّيادة على ضوء برنامج التدخل. هذا الأنموذج ملائم لاستخدام المهنيين في فحص الدّيدات كجزء من خطة تدخل في سن الطفولة



المبكرة قبيل ملائمة الاتصال الداعم والبديل (أ.د.ب). يمكن أيضا استخدام الأنموذج كأداة إرشادية، ويمكن، من خلال استخدامه لتمثيل ديدات، إجراء عمليات فحص ذاتي لدى الوالد بغرض تغيير وتحسين سبل الاتصال مع الرضيع. يُمكن الاستخدام المتواصل للأنموذج من إجراء عملية تأمل لسيرورات التغيير في الديادة، ومن ثم التوصل لاستنتاجات حول سبل الاتصال في الديادة. يمكن توجيه العائلات لاستخدام الأنموذج، وهو الأمر الذي يساهم في خلق الظروف المواتية لمسارات تدخل مبكر في البيئة الطبيعية للعائلة. بمقدور الوالدين اكتساب هذا الأنموذج أسوة باستراتيجيات الاتصال الداعم والبديل، (أ.د.ب) الأمر الذي يمنحهم القوة لإدخال التغيير في الديادة، ويؤثر إيجابيا على قدرات الرضيع الاتصالية، وبالتالي على الديادة بينه وبين والديه. منحه استراتيجيات وأدوات الاتصال الداعم والبديل للرضيع يشغل الفراغ الاتصالي الذي تولد بسبب الإعاقة، ويخلق ظروفًا مواتية لتحقيق ديادة متواصلة ومستقرة. استخدام برامج التدخل التي تركز على أنموذج الاتصال الديادي خلال استخدام استراتيجيات الاتصال الداعم والبديل يشجع على تخطيط وتنفيذ خطط تدخل مبكر إضافية في هذا المضمار.

من اجل تعميق الفهم في هذا المجال نوصي بإجراء أبحاث متممة حول درجة فاعلية برنامج التدخل. يجدر كذلك إجراء تدخل من هذا النوع على عينة أكبر من الاطفال الرضع بهدف اكتشاف تأثير المتغيرات المختلفة على الفرق الحاسم. على ضوء فاعلية برنامج التدخل سيكون من المفيد فحصه في صفوف شريحة عمرية أصغر من تلك التي جرت معاينتها، إذ إن التدخل المبكر يقلص فجوات التطور في صفوف الفئة التي خضعت للبحث. نوصي أيضا بفحص فاعلية البرنامج في صفوف مجموعات إضافية تعاني من معوقات في مجال الاتصال.